سيرج ثيون

حقيقة تاريخية
أم
حقيقة سياسية

فوريسون ومسألة غرف الغاز في معسكرات الاعتقال النازية

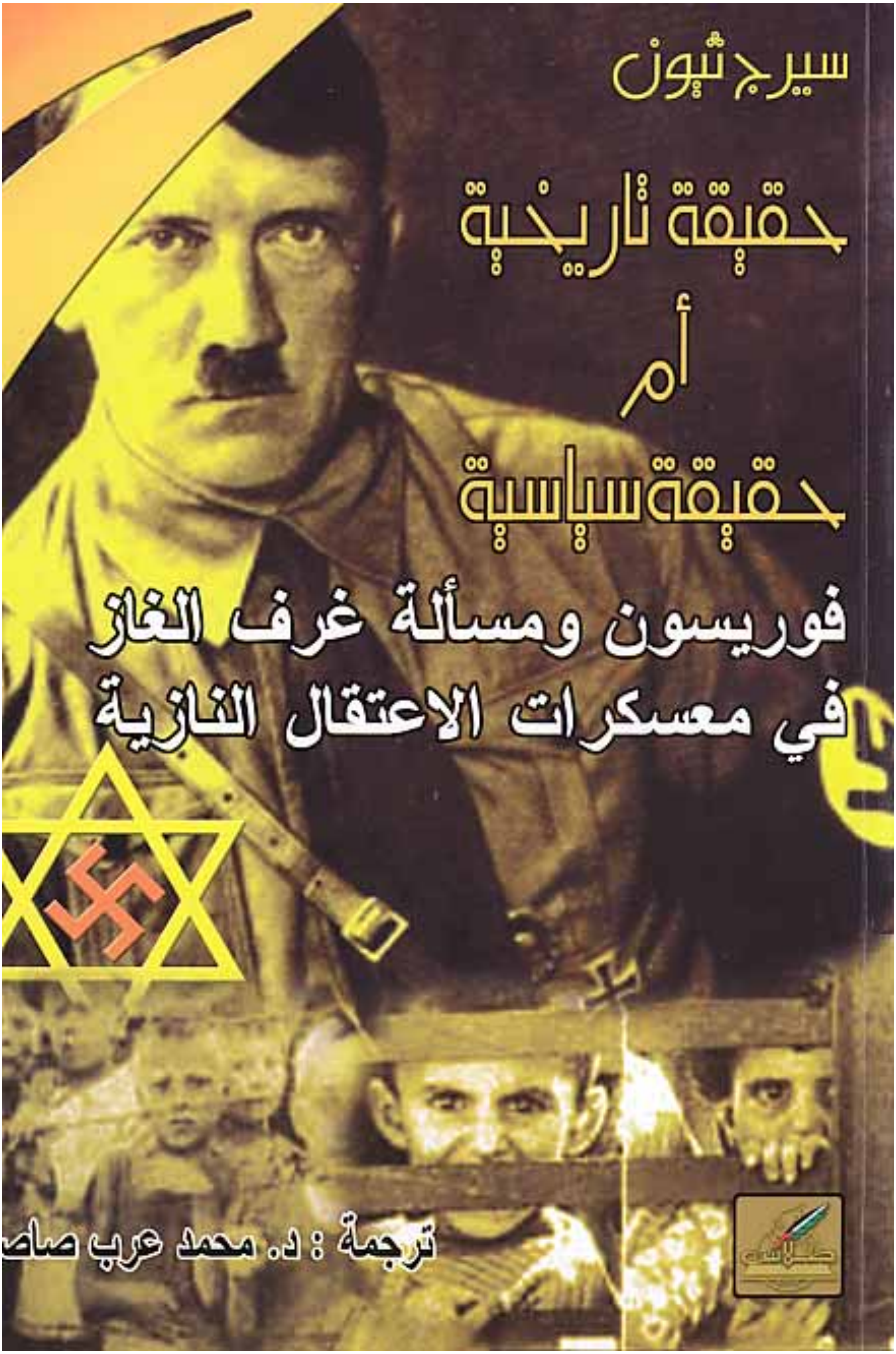

ترجمة : د. محمد عرب صاص

دمشق : منطقة المزة (3) - حي الجلاء (5) شارع كعب بن مالك
(طلعة الإسكان سابقاً) بناء رقم (2) – ص.ب : 16035
هاتف: 6618013 - 6618961 تلفاكس: 6618820 - برقياً: طلاسدار
E-mail:info@dartlass.com Website:www.dartlass.com

مكتبة دار طلاس - برج دمشق - مقابل وزارة الداخلية - هاتف: 2319558

ريع الدار لهيئة مدارس
أبناء و بنات الشهداء في الجمهورية العربية السورية

سيرج ثيون

حقيقة تاريخية أم حقيقة سياسية

فوريسون ومسألة غرف الغاز في معسكرات الاعتقال النازية

ترجمة: د. محمد عرب صاصيلا

الآراء الـــواردة في كـتب الــدار
تعبـــر عـــن فـكـر مؤلفيهـــا
و لا تعبر بالضرورة عن رأي الــدار

الطبعـــة الأولـــى : 2005

رقـم: 78686 تاريـــخ: 12 / 12 /2004

رقـــم الإصـــدار : 926

جميـــع الحقـــوق محفوظـــة

لدار طلاس

للدراســات والترجمــة والنشــر

القسم الأول

كيف نسأل لماذا؟

يبدو، غالباً، أن الروح تنسى نفسها، تتيه، لكنّها في الداخل، تكون دائماً في حالة تعارض مع ذاتها.

إنّها تَقَدُّمٌ داخلي ـ كما يقول هملت عن روح أبيه: «حسناً عَمِلْتِ، أيتها العجوز المزعجة!»

«هيغل»

إننا نتعرَّف على صديقنا القديم، عجوزتنا المزعجة، التي تَعْلَم كيف تجيد العمل تحت الأرض لتظهر فجأة في: الثورة.

«ماركس»

«الأمر المرعب حين نبحث عن الحقيقة هو في أن نجدها»

«في موضوع الحقيقة، لاتوجد مصادر مغلوطة»
بيار فيدال ــ ناكيه

نشـــرة إعلاميـــة حـــول كمبوديـــا

حزيران 1978 ــ العدد3 ــ الصفحة 12.

هاهو فرد يؤكد أن غرف الغاز في معسكرات الاعتقال الألمانية لم توجد مطلقاً، وأنها ــ أساساً ــ أسطورة وُلدَت من فظائع الحرب. فضيحة. يُقال أن هذا الرجل إما أن يكون مجنوناً، أو أنه ممن لديهم حنين للنازية. أنْ يهذي المجانين أو أن يسعى النازيون لتبييض صفحة ألمانيا الهتلرية، فليس في ذلك شيء غير طبيعي جداً. لكنَّ العكس سيكون مفاجئاً. من جهة أولى، هناك تزايد في عدد المجانين بسبب الحياة الحديثة، كما يُقال. ومن جهة أخرى، لم يكفّ النازيون، والمتعاطفون معهم، وآخرون من ذوي الجماجم الفارغة من اليمين المتطرّف، أبداً عن الحُلم برايخ يمتد لألف عام. لكن تأثيرهم ــ إنْ صَدَّقت ذكرياتي ــ تناقص حقاً منذ انتهاء الحرب الجزائرية، وتفكيك منظمة الجيش السري (O.A.S). لهذا ومهما كانت طريقة تصنيف هذا الفرد، وتأكيداته الاستفزازية، فإن حالته تبدو واضحة، ومجرّدة من أقل قدرٍ من الفائدة.

لكنّ الأمر الغريب أن الواقعة المختلفة تنتفخ، وتأخذ نِسباً غير مُنتظِرة، وتكتسح الصحافة على الرغم من تسجيلها الرغبة المتكررة في الكفّ عن الكلام عنها. فالوزراء يُعلّقون عليها، والبرلمانيون يستجوبون الحكومة، وأحدهم ــ من مؤيدي جيسكار ديستان ــ يستفيد من المناسبة ليُطالب بإدخال الـ Berufsverbot، أي الحظر الاحترافي «للمتطرفين»، إلى فرنسا. ومنذ تشرين الأول 1978، لم تعُد الصحافة قادرة على التوصل لمراقبة ذاتها بذاتها لأن اضطرابات حصلت في جامعة ليون ــ 2، ولأن المعني بالأمر ــ الذي غطّته الشتائم ــ أخذ يناقش، ويقذف الصحف بحقوق الردّ، فحدثت محاكمات صحفية، جرى الحديث عنها في الخارج، وقرّرت الحركات المعادية للعنصرية، وعلى رأسها «الرابطة الدولية ضد معاداة السامية» (L.I.C.A) (Ligue Internationale Contre L' antisémitisme) أخيراً، سحق «سيّئ

الخلق» بتقديمه للمحاكمة بتهمة مبتكرة، إلى حد ما، في القانون الفرنسي، تقول أنه «زوّر طوعاً تقديم التّاريخ»[1].لننتظر لنرى كيف تصرّف القضاء مع هذه الفرضية.

وسرت إشاعة في المدينة حين لم تنشر في الصحف، تقول أن أفكار السيد فوريسّون هذا غير مقبولة لأنها من صنع نازي، أو مؤيد للنازية، ومعادٍ للسامية. ولن يغيِّر إنكاره لهذه الصفة أو تلك، وربحه لدعوى قذف ضد صحيفة «لوماتان دو باري» (Le Matin De Paris)، شيئاً من قناعات المُشَنِّعين عليه، التي لا تستند إلى ما يقول، بقدر ما تستند إلى النوايا المريبة التي تُعزى إليه. ورغم أن من الواجب القول بكل وضوح أن المحاكمات الكيدية هذه لا تُشَرِّف دُعاة الرقابة، إلاَّ أن المسألة ليست هنا. إن من الممكن بالتأكيد قول أن فوريسُّون رجل يميني أو، لنكون أكثر دقة، فوضوي يميني. ومع ذلك فإنه يجب أيضاً التذكير بأن تلامذته، وكثيراً من زملائه، كانوا يُعدُّونه، إلى ما قبل اندلاع القضية، رجلاً يسارياً. إنه، في كل الحالات، رجل وحيد. أما فيما يتعلق بمشاعره السياسية، بقدر ما أعرفها، فإني لا أجد فيها شيئاً جذاباً، فيما عدا رفضه للمحرّمات الفكرية، ونزعته المؤكدة، التي أشاطره إياها، لأن يصطفَّ إلى جانب المهزومين، وأولئك الذين يوجدون أو يتواجدون في الجانب الرديء من النصاب. إن هذا الأمر لا يُعدُّ كافياً تماماً، بنظري، من أجل تأسيس أخلاق سياسية، لكنه لقاح جيد إلى حدٍ ما ضد أوهام السلطة.

إن ما يجب رفضه بشدة هو الفكرة القائلة بأن الحجة التي ينطق بها عدو سياسي تُعتبر، بشكل آلي، خاطئة، وباطلة، ولاغية. فأنا أعرف أناساً من اليمين قادرين، بالمناسبة، على قول أشياء مُعتبرة جداً، وأناساً من اليسار قابلين لأن ينطقوا بكلام مثير يجمّد دماغك. إنّ كلاً من هذين الأمرين، اللذين يعرفهما الجميع، لم يقنعاني، أو أي شخص آخر، بتغيير آرائي السياسية. لكنهما تمكّنا من تعليمي شيئاً ما، وجعلاني أغيّر رأيي في نقطة دقيقة جداً، عليّ أن أُدرجها في تفسيري.

يجب علينا إذاً ألاَّ نكتفي بالمطالبة لأعدائنا بحرية التعبير، وإن كانوا أعداءً للحرية، باعتبارها ــ كحرّيتنا ــ أساسية، ولا تقبل التجزئة، وإنما أن

---

[1] نص دعوى الرابطة.

نُصِرّ أيضاً على حق فهمهم، وتفسير أقوالهم، من دون التعرُّض للمعاملة بحماقة كمتواطئين. لقد تحققنا، أنا وعدد من أصدقائي، في لحظة ما، بأنه كانت تجري في جبهة التحرير الوطني الجزائرية صراعات كانت ترافقها تصفيات دموية، واغتيالات، وتدابير تعسفية، وتعذيبات ..إلخ. وصحافة اليمين المتطرف بشكل خاص كانت هي التي سردت ذلك بالتفصيل. لكنّنا كنّا، من جانبنا، قادرين على التقاط بعض أصدائها الخافتة. وهذا الأمر، على الرغم من أنه كان باستطاعتنا أن نجده مؤسفاً، لم يكن يمنعنا من متابعة عملٍ تضامني مع المقاتلين الجزائريين، لأننا كنا نريد أن تعود الجزائر إلى الجزائريين. خلال ذلك الوقت، كان جونسون (Jeanson) وآخرون يتحدثون عن الثورة الاشتراكية السائرة في الجزائر. هل كان من الأفضل التعلُّل بهذا الوهم المضحك، أم الاعتراف بما كان يوجد من صوابٍ في الصحافة الفاشية، ومواصلة المعركة بوضوحٍ، مع العلم بما كان لديها من حدود؟

وبالمقابل، هل كان من اللازم، بعد سنواتٍ عدة القبول بهذيان الماويّين، الذين كانوا يحلمون ببلد مؤيد للصين، لأنهم كانوا يقدّمون ضمانات يسارية؟ وإذا نظرنا إلى الماضي، ألَن نرى أن دوائر المخابرات الأمريكية كانت الوحيدة التي قالت ـــ قبل نهاية الحرب في كمبوديا في عام 1975 ـــ أن الخمير الحمر كانوا ينفون السكان، ويحكمون في بعض الأماكن بأقصى قدر من الوحشية، ويشتبكون عسكرياً مع الفيتكونغ؟ هل ينبغي لاعترافنا بأن وكالة المخابرات المركزية (C.I.A) كانت مُحقَّة في هذه الوقائع المادية، وبأننا كنّا ـــ في ذلك الحين ـــ مخطئين في أننا لم نرَ فيها إلاَ دعاية، أنْ يجرّنا إلى تبرير التدخل الأمريكي وموكب المذابح التي قام بها، والمسؤولة عن نشوب سلسلة من الأعمال الفظيعة؟ إن من الممكن ضرب الأمثلة على ذلك بألف.

لم يعُد أي شيء يجبرنا على ذلك، لأننا فهمنا أننا خدعنا أنفسنا حين ذهبنا للبكاء بدموعٍ براءة مُهانَة في أعمدة الصحافة المعادية، ولبيع القصة المحزنة لسذاجاتها المتتالية بثمن بخسٍ. فهناك دائماً رجال عصابات يجعلون من أنفسهم رجال شرطة، وستالينيون يصبحون شيراكيّين وماويّين

لكي يذهبوا إلى موائد عشاء جيسكار. وهناك أيضاً مرتدُّون مزيّفون مثل أولئك الذين يدّعون تعاطفاً خيالياً مع الخمير الحمر تمهيداً للإقرار المزعوم بذنبهم بقدرٍ أكبر من الضجيج. إنّ كل هؤلاء يخدعون أنفسهم بشكل مختلف، عندما يثوبون إلى رشدهم.

فوريسون إذاً ـ برأيي ـ رجل يميني. وما يفكر به حول المعنى السياسي لتأكيداته لا يهمّني بشكل خاص. ونواياه، ليس لدي أي دافع لمناقشتها. لكنه نشر تأكيدات بشأن **وقائع وحقائق** من ماضٍ قريب. ومن المؤكد أن قيام فرد مؤهّل تقريباً بكتابة شيء غير مهم في موضوع لا طائل منه هو إثبات لتفاهة دامغة. إذ يكفي أن تعرف شيئاً قليلاً عن مسألة ما لكونك درستها عن قربٍ، أو أن تعرف وضعاً ما لكونك عشته، لتدرك كم أنّ أعمدة الصحف ورفوف المكتبات مُثقلة بهذيانات لا يميزها، ظاهرياً، أي شيء عن الكتب الرصينة التي تستحق التقدير. لقد كشفت مأساة النفي (La déportation) المرعبة عن موضوعٍ ملائم لكل أنواعِ الحبكات الروائية التي بإمكان قدماء المنفيين (Les déportés) وحدهم التحقّق من صحتها من أول طرفة عين. أما الأمر بالنسبة لنا فهو أكثر صعوبة.

إنّ تأكيد أن غُرف الغاز لم تكن موجودة يجعلنا إذاً نفكر فوراً بهذا «الشيء غير المهم»، «بالكتشب» العام الذي لا طعم له، والذي يُتبِّل، في عصرنا، كل مآكل الفكر. لقد ظهرت هذه الشخصية المثيرة للفضيحة في أعقاب قضية أخرى، هزلية بشكل واضح، تمثّلت في المقابلة الصحفية لداركيه دوبللوبوا، وهو رجل مسنٌّ من بقايا نظام ڤيشي، ومعادٍ حقيقي للسامية، كان من السهل خلط كاتبنا المزعج معه. ولم تحرم الصحف نفسها، بالإجمال، من هذه الفرصة.

في وجه مثل هذين الخصمين الهزيلين، المندمجين معاً رغماً عن حقيقة الأمر، رأينا حينئذٍ قيام إجماعٍ وطني مُؤثِّر. فقد شكَّ وزراء، وبرلمانيون، وكتّاب افتتاحيات صحف من كل جانب، بان الأجيال الجديدة تجهل الماضي، وربما لا تأبه به. وتقرر على عجل عرض المسرحية الروائيّة الأمريكية **هولوكوست** (Holocauste). وقدمت صحيفة **لوموند** (Le Monde) المدفعية الضخمة، بنشرها تصريحاً رسمياً وقّعه أربعة

وثلاثون من أشهر مؤرّخينا[2]. وبعد أن ذكّر التصريح بمعطيات سياسة الإبادة الهتلرية، كما عرفناها عادةً، انتهى بالفقرة التالية:

«كلمة أخيرة لننهي. كل فرد حرٌّ بتفسير ظاهرة كظاهرة الإبادة الهتلرية وفقاً لفلسفته؛ كلّ فردٍ حرّ بمقارنتها أو عدم مقارنتها بمشاريع قتلٍ أخرى، سابقة أو معاصرة أو لاحقة لها؛ كلّ فردٍ حرّ، بالنهاية، في أن يتخيل، أو يحلم بأن هذه الوقائع الفظيعة لم تحصل. لكنها، للأسف، حصلت، ولا يستطيع أي شخص إنكار وجودها من دون إهانة الحقيقة. إن من غير الواجب التساؤل كيف أن مثل هذا القتل الجماهيري كان ممكناً **من الناحية التقنية**. لقد كان ممكناً **تقنياً** لأنه حصل. تلك هي نقطة الانطلاق اللازمة لكل تحقيق تاريخي حول هذا الموضوع. لقد كان من حقنا نحن أن نذكّر بهذه الحقيقة بكل بساطة: فليس هناك، ولا يمكن أن يكون هناك نقاش حول وجود غرف الغاز».

هاهنا انفصلت: فكيف لمؤرخين محترفين أن يقولوا أنه لا يجب التساؤل عن **كيف** أمكن حصول حدثٍ ما، لمجرد أن المؤرِّخ، المقتنع بوجوده، لا يرغب بأن يضعه ثانيةً موضع تساؤل. إنه حدٌّ لا يطاق، ولن يقبل أحد منهم برؤيته يوضع على بحوثه الخاصة، في الميدان التاريخي الخاص به. وحين فكرت أكثر فأكثر بالأمر، اجتاحني الدوار: فما هو الحدث التاريخي، من أي نوع كان (سواء كان اقتصادياً أولاً، أم عسكرياً أيضاً، أم ثقافياً أو اجتماعياً، أو نفسياً... إلخ) الذي يمكنني أن أقدّم له سبباً، من دون أن أتساءل، في لحظة ما أو أخرى، عن طريقة وجوده التقني، عن كيفية حصوله؟ إني أفهم جيداً لماذا وقَّع مؤرخون بارزون على هذا النص (ولن أتساءل لماذا لم يوقّع عليه مؤرخون آخرون، هم أيضاً بارزون، ولماذا امتنع أغلبية المختصين في القضية عن ذلك أيضاً). لقد قاموا بذلك بدافع تضامن فكري وسياسي، أكثر مما هو بسبب اختصاص حقيقي. فهم بالإجمال يعملون في ميادين مختلفة جداً. لقد وقّعوا بثقة. والأمر الذي يبدو لي أنه الأكثر إثارة للدهشة هو ــ بدقة ــ أن بعض المؤرّخين قدّموا ــ للقيام بهذا العمل السياسي، المتمثل بمنع أي نقاش حول وجود غرف الغاز ــ ضمانتهم لنصٍ يَحُدُّ صراحةً من ميدان

---

[2] سياسة الإبادة الهتلرية: تصريح لمؤرّخين، **لوموند**، 21 شباط 1979.